

المجلد: 08/ العدد 01 جوان (2024)، ص.ص 12-22

أثر رواية ورش في أوزان الشعر الجزائري (مقاربة عروضية)

The trace of Warsh's novel in the Weights of Algerian poetry

د. بوسكين مجاهد

medjahed.bouskine@univ-mascara.dz

جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر
(الجزائر)

دعلاش المراهي*

elmerahi.dalache@univ-mascara.dz

جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر
(الجزائر)

تاريخ النشر: 2024/06/02

تاريخ القبول: 2024/05/27

تاريخ الاستلام: 2024/01/10

ملخص:

يعالج هذا البحث الموسوم: "أثر رواية ورش في لأوزان الشعر الجزائري" الأثر العروضي لرواية الإمام ورش التي ارتبطت بالمغرب الإسلامي وما تركته على ألسنة الشعراء الجزائريين على مَرَّ العصور، فانطبعت تلك الخصائص الأدائية لرواية ورش على ألسنتهم وحضرت في آثارهم الشعرية، سواء كان هذا الحضور لضرورة شعرية أو بدون ضرورة، فوجد الشاعر يميل بحكم التأثر بالرواية القرآنية إلى استعمال ظواهر صوتية دون غيرها، كتخفيف الهمز، وفتح ياء الإضافة، ومد ميم الجمع، وكلّ هذا دون الحاجة أحيانا لذلك كضرورة. **كلمات مفتاحية:** الشعر، الشعر الجزائري، رواية ورش، القراءات القرآنية، الأوزان.

Abstract:

This paper, under the heading: "The trace of "Warsh's" novel in the weights of Algerian poetry" addresses the rhythm effect of Imam Warsh's novel, which was associated with the Islamic Maghreb and what it left on the tongues of Algerian poets throughout the eons and eras, these performative characteristics of Warsh's novel have been imprinted on their tongues and attended in their poetry, whether this presence was for a poetic necessity or not, so we find the poet uses some phonetic phenomenon, for no poetic necessity.

Keywords: poetry; Algerian poetry; Warsh's novel; Quranic Qira'at; weights.

- مقدمة

نزل القرآن الكريم بأبلغ لسان وأرقى بيان، وكان فيه تحدي للعرب أن يأتوا بمثله أو ببعضه؛ عشر سور أو حتى سورة منه، فوفقت قرائهم عاجزة أمام بلاغته، منبهة بطلاوته وحلاوته، وكالعادة، فحين عجزوا ولم يقدرُوا على الرقي عليه ولا حتى إليه، انصرفوا إلى التأثر به والاقتراس منه، قصصه، وفواصله، وصوره، ومجازه، وعلومه المختلفة، ومنها

* المؤلف المرسل.

القراءات القرآنية التي نالت نصيبا وافرا، بلاغيا وصرفيا ونحويا، من الدراسة والبحث في ذلك الأثر، إلا أنه لم يُلتفت إلى أثرها العروضي في الشعر.

ومن بين كل العلوم التي ارتبطت بالقرآن الكريم والتي كانت نتيجة حتمية لاستهلاك العرب والمسلمين للقرآن ومعانيه، وتأثرهم وانشغالهم به، كان علم القراءات في مسار التنوع الذي بقي على الأصل بل وبدل عليه دلالات واسعة متنوعة، فكان للإعجاز دليلا، بل كان أدل دليل على الإعجاز، إذ تختلف اللفظة ويبقى السياق، بل وتكون الآية الواحدة آيات متعددة بسبب القراءات المختلفة، وكلها معجز بلفظه ومعناه، وبأسبقته ودلالاته المختلفة.

وقد انطلقنا من فرضية وجود علاقة بين توظيف الشاعر لبعض الكلمات دون غيرها، وبين الخلفية القرائية للمنطقة، فجاء هذا البحث ليفتح عن تلك العلاقة التي تربط الشاعر الجزائري بالقراءة القرآنية المعتمدة منذ القرون الأولى في المغرب الإسلامي، انطلاقا من إشكالية: هل هناك علاقة بين ما وقع في الشعر الجزائري من ظواهر صوتية عروضية وبين رواية الإمام ورش؟ وهل كان هذا الحضور لهذه الظواهر الصوتية-العروضية أثرا قراءتيا أو هو مجرد تغير يندرج ضمن الضرائر الشعرية؟

وقد اعتمدنا في هذه الورقة البحثية الوصف والتحليل مع الاستعانة بالمنهج الإحصائي في بعض الأحيان، وذلك مرده إلى تحليل الظواهر الصوتية وتقضي أسبابها وبواعثها وكذلك إيراد الأمثلة كلها إن أمكن، لكن هذا لم يتأت لنا لأن حيز البحث قصير، ولذلك اكتفينا ببعض الإشارات إلى أمثلة أخرى.

وقام البحث على مكتبة تجمع بين كتب القراءات والمصادر التي تناولت رواية ورش، وبين دواوين بعض الشعراء الجزائريين الذين استلهموا هذه الرواية في أشعارهم، فكان في محطات التتبع للشعر العربي عموما والشعر الجزائري خصوصا بعض الخصائص القرائية التي استقها الشعراء من تلك الرواية القرآنية التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمغرب الإسلامي منذ الفتح، وقد ارتبطت رواية ورش من طريق الإمام الأزرق بالمغرب الإسلامي، إلا أنها لم ترتبط بالمغرب بمفهومه الحديث، ولذلك ستكتفي هذه الورقات ببعض المناطق التي تعتمد رواية الإمام ورش لقراءة الإمام نافع قراءة دينية رسمية ومرجعية أساسية، وستتحدث عن الشعر الجزائري وعلاقته بهذه الرواية.

والشعراء -طبعم- سيتأثرون بالترسيات الثقافية التي تربوا فيها وشبوا في أحضانها، ومنها السياسية والاجتماعية والدينية، ولهذا فس نجد الشاعر يتأثر بالرواية القرآنية التي تلقاها وستنعكس على لسانه وفي شعره أو سيلجأ إليها ضرورة حين تقيده الأوزان والقوافي وتجزئه الضوابط العروضية التي تحكم النظم الشعري، وبخاصة إذا كان الشاعر ذا خلفية دينية نشأ وترعرع في أحضان الكتائب والزوايا.

- رواية ورش في المغرب الإسلامي

اختار المغاربة رواية الإمام ورش لقراءة الإمام نافع من طريق الإمام الأزرق لأسباب كثيرة وعديدة جعلتها تحوز هذه المكانة التي لم تنازعها فيها رواية أخرى منذ البدايات إلى يوم الناس هذا، وربما كان أهم سبب في ذلك هو التعلق الروحي للمغاربة بالحجاز، إذ نجد ابن خلدون يشير إلى أن المغاربة والأندلسيين أموا المدينة لأنها كانت دار العلم، ولقربها من طابعهم البدوي⁽²⁾، فكانت أرواحهم تتلهم شوقا إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدها أشواقها إلى ساكن المدينة وكل ما له علاقة بالمدينة من علوم وآداب ورقائق وأنوار تشرتها من ساكنها عليه أفضل صلاة وأزكى سلام..

كان الإقبال على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجده كبيرا، فكان زائر المدينة ينهل من علوم الدين كلها في مكان واحد هو مسجده عليه السلام فيجد الفقه وعلومه والحديث وروايته، ويعترف من علوم إمام دار الهجرة

وعالم المدينة مالك بن أنس رضي الله عنه ويأخذ القراءة عن الإمام نافع بن أبي نعيم رضي الله عنه في مجلس واحد، دون أن يعاني سبلا، أو يتكلف مشقة ويترحل من قطر لآخر. وقد تنافست الحواضر المغاربية وعلى رأسها القيروان وقرطبة في تزويد المنطقة المغاربية بما تجتلبه من المسجد النبوي وعلم المدينة التي أصبحت حاضرة للنهضة العلمية⁽³⁾ تستقطب الطلاب والمتعلمين من كل حذب وصوب، وتستجلبهم من كل فج. ويذهب بعض الدارسين إلى أن تبني المغاربة لرواية ورش عن قراءة نافع راجع إلى أسباب عديدة نجمها في النقاط الآتية⁽⁴⁾:

1. إثارة المغاربة لمذاهب أهل المدينة على غيرها.
 2. التقاطع بين أصول رواية ورش عن نافع مع مذهب الإمام مالك.
 3. دور السلطة الحاكمة في تثبيت ذلك في المغرب.
 4. اعتبار المغاربة أن رواية ورش أوثق الروايات عندهم.
 5. أصول ورش المغاربة، فهو قيرواني انتقل والده إلى مصر.
 6. الرغبة في الاستقلال بالمذهب والقراءة عن سواهم.
- وبينبغي لنا إذ أشار الباحثون إلى كون رواية ورش لقراءة نافع تتقاطع مع مقتضيات مذهب مالك أن ننوه إلى أن الإمام مالكا رضي الله عنه قد أثنى على قراءة الإمام نافع رضي الله عنه بأنها ستة⁽⁵⁾، وهذا سبب وثيق يجعل المغاربة يمسكون بهذه القراءة رغبة في التفوق على غيرهم، وتقربا إلى الله بكونها ستة، وزيادة في إثبات محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
- كان هذا كله إضافة إلى بعض العوامل البشرية وكذا السياسية التي تآزرت في التأسيس لمذهب الإمام مالك وقراءة الإمام نافع في الديار المغاربية⁽⁶⁾ فصار بذلك المغرب الإسلامي نسخة من المدينة المنورة -على ساكنها أفضل صلاة وأزكى سلام-، وأضحى خالصا في التبعية الفقهية والقرائية، وما زالت المكونات الثقافية والتراث الديني لإمامي دار الهجرة باقية في ملامح المغاربة.

- القراءة والرواية؛ المفهوم والماهية:

1. **القراءة:** يدور معنى القراءة في المعاجم اللغوية حول الجمع والضم والتلاوة والنطق بالكلام مجمعا؛ يقول ابن منظور: "قَرَأَهُ، يقرؤه قرأ وقراءة وقرآنا فهو مقروء... ومعنى قرأت القرآن أي لفظت به مجمعا أي ألقيته"⁽⁷⁾.
- وهي في اصطلاح أهل العلم "اختلاف ألفاظ الوحي في كتابة الحروف أو كفيئاتها"⁽⁸⁾؛ فهي بادئ الرأي تنبع عن الاختلاف سواء كان هذا الاختلاف خاصا بالكلمات ورسمها فيكون بذلك ضمن ما يصطلح عليه علماء القراءات بـ(الفرش) أو عامّا بين مقرئ وآخر أو آخرين ويدخل تحت مصطلح (أصول) عند علماء القراءات.
- أما ابن الجزري فيشدد في ضوابط القراءة الصحيحة إذ يجعل لها ضوابط ثلاثة تفصل بين القراءات المتواترة الصحيحة وبين القراءات الشاذة، وهذه الضوابط هي: مطابقة وجه من أوجه العربية، ومطابقة رسم المصحف العثماني ولو احتمالا، والتواتر أو السند⁽⁹⁾، إذ يقول⁽¹⁰⁾:

وكان للرسم احتمالا يحوي
فهذه الثلاثة الأركان
شذوذ لو أنه في السبعة

فكل ما وافق وجه نحو
وصح إسنادا هو القرآن
وحيثما يختل ركن أثبت

وعموما فالقراءة القرآنية هي "النطق بالفاظ القرآن كما نطقها النبي صلى الله عليه وسلم أو كما نُطقت أمامه - عليه السلام- فأقرأها، سواء كان النطق باللفظ المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلا أو تقريرا، واحدا أو متعددا"⁽¹¹⁾، والقراءات القرآنية كلها متواترة تتصل بسندها إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وليست اجتهدا من قارئ أو راوٍ ما؛ "فالقراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول"⁽¹²⁾ وإن حدث وخالف راوٍ ما أصول قراءة شيخه فلا يعدّ خروجا عن القراءة، بل هو خروج من قراءة إلى قراءة أخرى متواترة، وهذا يعيدنا إلى مفهوم الأصول والفرش⁽¹³⁾.

أ. **الأصول:** هي قواعد القراءة عند كل قارئ، كمد الميمات، وتحقيق الهمزات وإمالة الألفات وغيرها.
ب. **الفرش:** وهي الكلمات القرآنية محل الاختلاف وكيف قرأها كل قارئ.

2. **الرواية:** يشير المعجم اللغوي في استعماله للجذر (روى) إلى علاقته بالتلقين والتعليم، فرواه يرويه رواية وروّاه الشعر إذا رواه له حتى حفظه"⁽¹⁴⁾ فالرواية تكون بالنقل والتلقين والتعليم قصد الحفظ والإتقان.

أما في اصطلاح علماء القراءات فالرواية "ما نسب للراوي عن الإمام القارئ، ولو أخذ عنه بواسطة شخص أو أكثر"⁽¹⁵⁾ فالرواية هي ما يعزى إلى من ينقل القراءة عن أئمتها سواء أخذ هذه الأصول عنهم مباشرة أو تلقاها عنهم أخذها عنهم.

- **أثر رواية ورش في الشعر الجزائري:**

يظهر أثر رواية ورش في الشعر الجزائري من خلال بعض الخصائص العروضية التي يلجأ إليها بعض الشعراء، إن بداع عروضي تفرضه الضرورة أو بداع هوياتي تقرّه الثقافة والانتماء وتأصله الخلفية الدينية لهؤلاء الشعراء، ومن هذه الخصائص الأدائية للرواية والتي كان لها حضور جلي في قصائد الشعراء الجزائريين الشواهد التالية:

- **تخفيف الهمز:**

وهذا من خصائص بعض القبائل العربية التي كانت لا تنبر، إذ كان اللغويون الأوائل يوظفون لفظ النبر مرادفا للهمز⁽¹⁶⁾، وكان "أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون"⁽¹⁷⁾، فهم يتحاشون النبر (الهمز) في كلامهم لذلك نجدهم يلجؤون إلى تعاملات مختلفة مع الهمزة من تحقيق وتخفيف وإبدال، ومما وقع في الشعر عن القرون الأولى قول حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه⁽¹⁸⁾:

سَأَلْتُ هَذِيلَ رَسُولَ اللَّهِ فَاحِشَةً صَلَّتْ هَذِيلٌ بِمَا سَأَلْتُ، وَلَمْ تُصِبْ

فستدنا حسان رضي الله عنه من أهل المدينة الذين تميزوا بتخفيف الهمز كما ذكر أبو زيد الأنصاري، وهذا جلي في البيت الذي بين أيدينا، إذ نجده أبدل الهمزة في الفعل (سَأَلَ) لتصبح أَلَف مِدَّ خالصةً (سَال) وذلك لتوافق مع وزن القصيدة التي كانت من بحر البسيط ذي التفعيلات:

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ
0||| 0|0|0| 0||0| 0||0|0| 0||| 0|0|0| 0|0| 0||0|0|

وقد ألجأته ضرورة أن تكون (مُسْتَفْعِلُنْ) في بداية البيت أن يستعمل كلمة تحقق الرسم (0|0|) وهذه توافقها (سَأَلْتُ) لا (سَأَلْتُ) التي تقابل (0|||) فليس هذا أصلا ولا ضرورة في (مُسْتَفْعِلُنْ)، وليس (سالت) الذي في البيت بمعنى جرى وانساب بل بمعنى (طلب) لذلك كان هذا إبدالا للهمزة لا أصلا للفعل، وهذا يؤكد ما أورده ابن عبد ربّه في مناسبة البيت، حين يروي أنّ هذيلة سألت الرسول صلى الله عليه وسلم أن يُحَلَّ لها الزنى⁽¹⁹⁾، فالشاعر هنا وافق لغته الأم التي تبدل الهمزة وحافظ على وزن بيته حين استعمل (0|0|) بدل (0|||)، فجمع بين الشعرية والهوية، ومن وهذا نجد في القرآن العظيم قول ربنا تعالى: (سَالِ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) [المعارج: 01].

- تخفيف الهمز في أوزان الشعر الجزائري:

وجدنا فيما بين أيدينا من قصائد لشعراء جزائريين كثيرا من حالات تخفيف الهمز، سواء كان لضرورة أو لغير ضرورة، ولكننا سنكتفي بما يحقق الوزن الشعري، ويؤثر في الميزان العروضي، ونضرب من هذه الأمثلة مثلا قول مفدي زكريا في مطلع قصيدته له بعنوان (يا رحمة الله): وهي قصيدة على بحر البسيط إذ يقول:

نُصُو تَكَلَّلَ بِالتَّسْكَابِ نَاطِرُهُ بِأَيِّ ذَنْبٍ - وَفَاكَ اللهُ - تَأْسِيرُهُ⁽²⁰⁾

والفعل (أسر) خفت همزته في رواية الإمام ورش، إذ نجد الآية (فَرِيحًا تَشْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيحًا) [الأحزاب: 26]، أما الشاعر فقد خففها حتى يجنب قصيدته عيبا من عيوب القافية، إذ لا بد من (ألف تأسيس) لقافيته، ولو حقق الهمزة لاختلت القافية ووقع في عيب (سناد التأسيس) وهو عيب شنيع يتحاشاه حتى المبتدؤون من المتشاعرين فكيف بشاعر مثل مفدي، والدليل على كون القافية مؤسسة قوله في المصراع الأول (ناظره)، وفي الأبيات التي تليه (نَظَائِرُهُ، تُحَاذِرُهُ، فَتَسَاوِرُهُ...) فهذه الألف لا غنى عنها، ولا يمكن وجوده إلا بتخفيف الهمزة في كلمة (تأسره) ويستلهم الشاعر عبد الرحمن الديسي الرواية والقراءة ويقتبسها حتى يحقق وزن قصيدته وقافيتها حين يتحدث عن القرآن العظيم وفضله إذ يقول:

مِنْهَا الْكِتَابُ الَّذِي زِدْتُ بِلَاغَتُهُ كُلَّ بَلِيغٍ كَلِيلًا، عِنْدَ "قُلْ قَاتِلُوا"⁽²¹⁾

وهذا اقتباس وتناص مع قوله تعالى: (قُلْ قَاتِلُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) [يونس: 38]، فالشاعر تجنب الوقوع في عيب القافية باستلهم الرواية، وأورد الخصائص والميزات في معرض الفخر والممدح لكتاب الله، فكان مما مدحه به بعض من كلماته الإعجازية.

ويتخلص سيدي أبو مدين الغوث الأندلسي من همز مستثقل شنيع بعد ضمّ حين يجعل الهمزة واوا، متأثرا في ذلك بالقراءة التي ارتبطت بهذه الأرض منذ فجر الدين، إذ نجده يقول:

أُحِبُّهُمْ وَأُدارِيهِمْ وَأُؤَيِّرُهُمْ بِمُهْجَتِي وَخُصُوصًا مِنْهُمْ نَفَرًا⁽²²⁾

فلو حقق الشاعر الهمزة لوقع في ثقل وكانت السكتة الناتجة عن الهمزة انكسارا للدقة الموسيقية، على الرغم من بقاء الوزن صحيحا، فالخصيصة الأدائية الصوتية لم تكن لداع عروضي، بل لعادة اللسان في تلك الكلمة كما تشربها من معين الرواية القرآنية، لكنّ التخفيف خلّصه من كلّ هذا ببراعة، كيف لا، وهو يتحدث عن حفظة القرآن الكريم، أو ما يصطلح عليه لحد الساعة في تلمسان وبعض مناطق الغرب الجزائري بـ(الفقرا) جمع (فقير). أما الأمير عبد القادر رحمه الله فيخفف الهمزة في موضعين في قصيدة واحدة، تأكيدا منه على هذه السمة التي تميّز المغاربة عموما والجزائريين خصوصا في الأداء القراءاتي، إذ يقول⁽²³⁾:

أَمَّا أَنْ لِلْخَلِّ الْمَرِيضِ بَأْنٌ يَمِيرُ فَإِنَّ صَيِّحَ الْجِسْمِ مِنْكَ شَكَا الضَّرَّ
بِهِ وَكُلَّ الْجُوعِ الْمُعْطَلُ لِلْقَوَى فَلِلَّهِ مَا أَنْكَاهُ فِينَا وَمَا أَجْرَا

وأصل الكلمتين (يرأ) أي (يشفى) و(أجراً) أي (ما أجراً الجوع علينا)، فلا يمكن للشاعر بأي حال من الأحوال أن يحقق الهمزة لا بالتحريك ولا بالتسكين، لا في صدر البيت الأول، ولا في عجز البيت الثاني، لأنّ القصيدة بنيت على قافية مطلقة، رويها راء مفتوحة، ولو حقق الهمزة لقتد القافية أو لغير الروي من الرأ إلى الهمزة.

- نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها:

النقل في اصطلاح القراء هو تحويل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وحذف الهمزة⁽²⁴⁾، ويشترط في هذا أن تكون الهمزة قطعية متحركة والحرف الذي قبلها ساكنا⁽²⁵⁾ وقد يكون هذا الساكن لام التعريف مع الهمزة في كلمة واحدة

كما في (الآخر) التي تنطق (لآخر) أو حرفا من كلمة أخرى (مَنْ ءَامَنْ) تنطق (مَنْمَنْ) مثل قوله تعالى: (مَنْ ءَامَنْ) بالله واليوم الآخر [البقرة: 62]

- نماذج من شعر ابن باديس، الربيع بوشامة، ومحمد العيد آل خليفة:

مما وجدناه من النقل الجلي في الشعر الجزائري نماذج لبعض الشعراء نكتفي منهم بالثلاثة المذكورين، ومن ذلك قول الشيخ عبد الحميد بن باديس:

مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أَصْلِهِ أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَّبَ (26)

فالمعروف أن القصيدة نُطِمت للحديث عن مقومات الشعب الجزائري (الإسلام والعروبة)، وقد حضرت هذه الرواية في البيت لتؤكد مقوما من مقومات هذا الشعب، وهي الرواية التي رافقته منذ فجر الفتوحات، وكانت من أهم القيم التي نشأنا عليها ميزة خاصة للمغاربة عامة والجزائريين بالأخص.

والقصيدة من مجزوء الكامل الذي تفعيلاته (متفاعلن متفاعلن 0||0|| 0||0||) ولو قُطعنا البيت بهذه الصورة (بالنقل) سنجد:

[مَنْ قَالَ حَا (0||0||0) دَعَنْ أَصْلِهِ (وتنطق: دَعَنْصُلِي 0||0||)] ليكون نقل الهمزة سببا في تحقق الوزن. أما إن تخَلَّينا عن النقل وحققتنا الهمزة في كلمة أصله فسنقع في مشكلة قبيحة وهي زيادة ساكن وسط التفعيلة فتكون (دَعَنْ أَصْلِي = 0||0||0) وهذا مما لا يمكن وقوعه في هذه التفعيلة.

ويتبعه في ذلك الشاعر الشهيد الربيع بوشامة حين يتخلص من الثقل الناشئ عن الهمزة بعد لام التعريف في قافيته إذ يقول:

وَأَجْمَعَ بَنِي جَنْسِكَ الْأَمْجَادَ فِي حَرَمٍ مُكْهَرِبِ الْجَوِّ، هَرَّازٍ لِلْأَوْتَارِ (27)

فكلمة (لِلْأَوْتَارِ 0||0||0) تنقذ القصيدة والقافية من زيادة مستقبحة لحرف يرهقها ويكسر نغمها بل ويحدث نشازا في موسيقاها، لذلك كانت الرواية القرآنية ملجأ حصينا يأوي إليه الشاعر فرارا بأدينته، وببيتته حفاظا على وزنه ونغمته.

وينقل الشيخ محمد العيد حركة الهمزة إلى الساكن قبلها حتى يحقق التفعيلة في قوله:

حُتَّ الْحُطَّى لِلْعَزِّ وَأَسْلُكُ نَهْجُهُ وَلَوْ أَنَّ نَهْجَ الْعَزِّ كَانَ جَحِيماً (28)

فالقصيد من الكامل (متفاعلن 0||0||) ولو أثبتنا الهمزة لكان الناتج في التقطيع (0||0||0) بزيادة ساكن في وسط التفعيلة، ولا توجد تفعيلة تزيد عن سبعة أصوات في كل العروض، إنما ينبغي الانتباه أن النقل وَلَوْ أَنَّ نَهْجَ الْعَزِّ تَحَقَّقَ التفعيلة دون شوائب ولا تغيّرات تخلّ بالوزن وتتعب القارئ وتشغله عن معنى البيت الذي يسمو ليكون حكمة.

- وصل ميم الجمع:

ميم الجمع هي "الميم الزائدة الدالة على جمع المذكّرين حقيقة أو تنزيلا" (29) والمقصود بالزائدة ألا تكون أصلا في الكلمة مثل ميم (يعلم، يسلم...) ويخرج بقوله (الدالة على الجمع) الميم التي تدل على التثنية، سواء كانت هذه الميم تدل على جمع حقيقي مثل (عليهم، بهم) أو تنزيلا؛ أي خطاب الواحد بصيغة الجمع، وقد وجد المستقرئون لكتاب الله أن هذه الميم لا تقع إلا بعد أربعة أحرف هي الهمزة والهاء والكاف والياء، ولكن حالاتها تعتمد على ما بعدها لا ما قبلها، ولها في كل ذلك أربع حالات في رواية الإمام ورش:

الأولى أن تكون بعدها همزة قطع فتقدم معها صلة (30).

الثانية: أن تليها ألف وصل فتكون الميم مضمومة من غير صلة (31).

الثالثة: أن يليها ضمير متصل، فيكون حقها الضم والوصل بالواو وهذا عند كلّ القراء، مثل (فَأَسْفَيْتُكَوْهَ) [الحجر: 22] (32)

الرابعة: أن تخلو مما سبق، ويكون حقها التسكين في هذه الحالة (33)

- وصل ميم الجمع في شعر أبي مدين التلمساني، وشعر مفدي زكريا

نجد هذه الخصيصة القرائية لرواية ورش حاضرة في القصائد الجزائرية إن بداع عروضي أو مجرد استلهاً واستحضار للقراءة التي درجت عليها السنة الشعراء الذين بين أيدينا، ومن بين أفضل التوافقات التي حدثت وجمعت بين جمال المبنى وورقي المعنى، وربطت الضرورة الشعرية بالخلفية القرائية والهوياتية، والوصلات الإيحائية التي تفتح للقارئ آفاقاً على مسار الذوق، ما نلجده عند الغوث سيدي أبي مدين التلمساني حين يقول:

وَقُلْ عَيْنِدْكَوْ أُولَى بَصْفُجْكُمْ فَسَامِحُوا وَخُذُوا بِالرَّفْقِ يَا فُقْرَا (34)

فبالإضافة إلى كل ما سبق من تعالق بين المبنى والمعنى والهوية والثقافة والذوق يزيدنا الغوث مناسبة الكلام لمقتضى الحال، فالخطاب موجه (للفقرا) وهم طلبة القرآن الكريم الذين يتفرغون لطلبه في الزوايا، وهؤلاء درجت بهم العادة على وصل ميم الجمع إذا التقت بالهمزة في قراءتهم، فكان التلميح لمسة بيانية، وكان الخطاب شيفرة قرائية وكان البيت ميزة هوياتية.

وقد حمت تلك الصلة تفعيلة (فععلن 0|||) من التشوّه، فلو أنه لم يصل لما بقي منها إلا (0||) وهذا مما لا يمكن أن تصبح عليه تفعيلة (فاعلن)، فكان الاستلهاً سمة جمالية ونغمة موسيقية وحضوراً لمقوم من مقومات المتكلم والمخاطب، ودلالة على تمكن صاحب البيت من فنون البلاغة ولطائف الصناعة الشعرية والإيقاعية.

ونجد الشاعر مفدي زكريا يكرر هذا الوصل مراراً في المقطوعة رقم (84) من إليادته التي تتحدث عن الجزائر طبيعة وتاريخاً وثقافة وسياسة وبطولات وأجساد، ولا يخفى على القارئ انغراس مفدي في التراث الديني واستلهاً القرآن في ألفاظه ومعانيه، بل حتى في الضرورة التي تستدعيها التفعيلة حتى تضمن لنفسها الحسن وتحمي جسده من التشوّه الذي قد يطالها إن حذفت تلك الصلة من الميم، ومن ذلك:

دَعُونَاهُمُو لِلْجَدَالِ التَّرِيهِهِ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا نَهَابَ الْجَدَالَا
وَأِنْ طَمَسَ الْحَقُّ أَبْصَارَهُمْ وَنَحْنُ نَا هُوَ ، وَنَحْنُ السُّؤَالَا (35)

فقد وصل هذه الميم احترازاً من الإخلال بالبنية العروضية للقصيدة، وخاصة التفعيلة الثانية، إذ في حال عدم الوصل لن يبقى منها إلا (0|) وهذا لا علاقة له بتفعيلة (فعولن 0|0|) التي هي قوام القصيدة، كما أنّ الشاعر أثبتنا خطأ حتى لا يُتوهم أن الوزن يمكن أن يستقيم في غيابها.

- فتح ياءات الإضافة:

ياء الإضافة هي الياء الدالة على المتكلم (36)، أي على المفرد المتكلم، مثل الياء في (ونجّهي، وفطرني، وإيّتي، وبيتي)، فلا هي ياء مخاطبة مثل قوله تعالى (فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَفَرِّي عَيْنًا) [مريم: 26]، ولا هي ياء الجمع مثل (حاضري، المقبي) ولا ياء المثنى مثل (ذَوِي) ولا الياء الأصلية كما في (أوفي) (37)، وحكمها في قراءتنا الفتح مهما كان الحرف الذي يليها، مع بعض الاستثناءات (38)، وذلك لكونها اسماً في حرف، فإن كان حقها الإسكان لأنها مبنية إلا أنها اسم في حرف ففُتُوِيَتْ بالحركة (39).

- نماذج من شعر أبي مدين التلمساني، والأمير عبد القادر:

يحد الباحث في العروض أن استلهم هذه الخصيصة الأدائية في الشعر الجزائري شائع، ويلاحظ أن أغلب حالاتها وردت لضرورة شعرية، ومن ذلك قول الغوث رحمه الله:

تَسْمِيْتُ بِالْمَجْنُونِ مِنْ أَلَمِ الْجَوَى وَصَارَتْ فِي الْأَمْثَالِ فِي الْحَيِّ تُضَرَّبُ (40)

فقد حرك الغوث رحمه الله باء المتكلم المتصلة بحرف الجر عند التقائها بألف وصل وجعلها مفتوحة حتى يحصل على المتحرك الذي تحتاجه تفعيلته لتكون، وذلك على عهده برواية الإمام ورش الذي "يحركها بالفتح إن وقع بعدها همز وصل مصاحب للام التعريف في جميع القرآن" (41) ولأدبه رحمه الله على هذه الحالة وتلقفه إياها مفتوحة دائما قبل الألف المصاحبة للام التعريف نجده يعيد هذه الحالات كثيرا في شعره، إذ يقول في قصيدة أخرى:

قَدْ فَرَى قَلْبِي الْفَرَأَى وَحَقًّا كَانَ يَوْمُ الْفَرَأَى شَبْنًا فَرِيًّا (42)

وهذا البيت لم يكنف فقط باستلهم الأداء الخاص برواية ورش، بل استعار بعض الكلمات واقتبسها من القرآن الكريم، فكان التأثر بالقرآن الكريم واضحا وكان إصراره على هويته القراءاتية صريحا. ونجد من بعده الأمير رحمه الله يحذو حذوه في الاقتباس من القرآن بالألفاظ المشعة منه والقراءة المحيلة عليه

في قوله:

وَحَمَّتْ وَجْهِي فِي الْأُمُورِ جَمِيعَهَا لِمُحَمَّدٍ غَيْثِ النَّدَا الْمُسْتَرْسِلِ (43)

فقد استحضر الأمير الآية الكريمة (لِيَّ وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) [الأنعام: 79] بقراءتها، وقد كان هذا الاستلهم على ما درجت عليه عادة الشاعر في تلك الجملة (وجمعت وجهي) وقد أثبتت الفتحة خطأ في الديوان، وكأنه يصّر على تلقيننا ذلك، لأن البيت بالتحريك أو الإسكان يظل وزنه قائما لكنّ الشاعر لا يخرج عما تلقفه من لوح كُتبت عليه (وجمعت وجهي) بفتحة على الباء يحاسب عليها من طرف شيخه إن سقطت سهوا أو عمدا. وإن كانت هذه الأمثلة تبقى غيض نماذج من فيض غزير من استلهم الأداء القرآني لرواية ورش في الشعر الجزائري، وقد مثلنا لبعض الأعلام الذين لا يختلف اثنان حول شاعريتهم وانتائمهم، ولو بحثنا في دواوين الشعراء الجزائريين -وحتى المغاربة عموما- لوجدنا الكثير من هذه الأمثلة التي يغتنى بها شعرنا وتحيلنا على مرجعية ثابتة كانت وما زالت ركننا تقوم عليه ثقافتنا وخلفيتنا الدينية في الجزائر.

- خاتمة

يصل بنا الحديث في نهاية هذه الورقة البحثية إلى بعض النقاط التي استوقفتنا في هذه الدراسة والتي ينبغي الإشارة إليها بإيجاز في ما يلي:

- أولا: علم القراءات القرآنية من أصول الإعجاز القرآني، وهي أدل دليل عليه، فاختلاف اللفظ أو الجمل دون إخلال بالمعاني لا يمكن أن يستقيم في الكتاب كلّ إلا للمولى جلّ وعلا.

- ثانيا: كان ارتباط رواية ورش بالمغرب الإسلامي بهذه الوثيقة راجعا لتعلق المغاربة بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونتيجة حتمية لسعيهم في التمسك بكلّ ما هو سنة، وذلك أن الإمام مالكا مدح قراءة نافع بكونها سنة.

- ثالثا: كانت القراءة المدنية (قراءة الإمام نافع) قد دخلت المغرب الإسلامي منذ أواخر القرن الثاني الهجري، وما زالت معتمدة إلى يوم الناس هذا، وذلك لتداخلها مع مذهب الإمام مالك الذي يعتمد في الديار المغربية في الأصول.

- رابعا: الخصائص الأدائية لرواية ورش قريبة من ألسن المغاربة، وتناسب ميولهم في أكثر أصولها لذلك كانت معتمدة عندهم، ودرجت ألسنتهم عليها.
- خامسا: بعض الشعراء وظف هذه الخصائص في شعره لغير حاجة عروضية، إنما لإصرار على التميز والاستلهم لكننا تحريتنا ما كان له داع عروضي وألجأت صاحبه إليه الضرورة، إلا في النادر، وكان أكثر ما وجدناه بلا ضرورة لذلك لم ندرجه في هذا البحث كأساس.
- سادسا: الشعراء الذين كان منهم هذا الاستحضار والاستلهم لهذه الخصائص الأدائية لرواية الإمام ورش هم من رجال الدين أو ممن لهم خلفية دينية بارزة، فكان الاستلهم عفويا مما درجت به العادة، وما ألفته ألسنتهم من ألفاظ القرآن ومن خصائص رواية الإمام ورش.
- وأخيرا: اهتمام الدارسين بالأثر القرائي في الأدب انحصر في الجوانب النحوية والصوتية والصرفية والبلاغية وحتى المعجمية، لكن ظل الأثر الناتج عن الأسباب العروضية غفلا، ولم يطله البحث.
- لذلك كانت هذه الورقات إسهاما صغيرا، نرجو أن يكون إنارة لجانب لم يتصله بعد أضواء الدارسين، ونحن لا ندعي الكمال والإحاطة بجوانب الموضوع بل هي مجرد ومضة تفتح باب البحث في المجال، وتلفت الأقدام صوب هذا الجانب من الدراسات القرآنية، ولعل الله يفتح به بابا للخوض في علاقة رواية ورش بالشعر المغاربي عموما، على مرّ العصور، في المناطق التي تعتمد رواية ورش في القراءة القرآنية.

الإحالات:

1. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، لبنان، 1977، ج 5، ص 161.
2. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله الدرويش، دار البلخي، سورية، ط 1، 2004، ج 2، ص 190-191.
3. ينظر: مصطفى البجاوي وآخرون، الدليل الأوفى إلى رواية ورش من طريق الأزرق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط 1، 2009، ص 14.
4. ينظر: عبد الهادي حميتو، قراءة الإمام نافع عند المغاربة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2003، ج 1، ص 151-168.
5. محمد بن الجزري، غاية النهاية، ج 2، ص 337.
6. و: أبو بكر بن مجاهد، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1400هـ، ص 62.
7. مصطفى البجاوي وآخرون، الدليل الأوفى، ص 17.
8. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مصر، ج 5، ص 3563.
9. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، ج 1، ص 318.
10. محمد بن الجزري، منجد المقرئين ومسلك الطالبين، دار الكتب العلمية، لبنان، ص 49.
11. محمد ابن الجزري، طبية النشر في القراءات العشر، تصحيح وضبط: محمد تيم الزعبي، مكتبة دار الهدى، السعودية، ط 1، 1994، ص 32.
12. عبد الهادي الفضلي، القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف، مركز الغدير، لبنان، ط 4، 2009، ص 68.
13. محمد بن الجزري، منجد المقرئين، ص 53.
14. ينظر: علي بن عثمان بن القاصح، سراج القارئ المبتدي وتذكرة المقرئ المنتهي، مراجعة: علي الضباع، دار الفكر، لبنان، 1403هـ، ص 148.
15. ابن منظور، لسان العرب، ج 3، ص 1786.
16. محمد بن الجزري، منجد المقرئين، ص 143.
17. غانم قدوري الحمد، أبحاث في العربية الفصحى، دار عمار، الأردن، ط 1، 2005، ص 87.
18. ابن منظور، لسان العرب، ج 6، ص 4323.
19. حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، الديوان، شرح: عبد أ.علي مهنا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 2، 1994، ص 46.

19. ابن عبد ربه، العقد الفريد، تح: عبد الحميد الترحيني، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1983، ج6، ص147.
20. مفدي زكريا، أبحاثنا تتكلم وقصائد أخرى، جمع وتحقيق، مصطفى بكير، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003، ص70.
21. عمر بن قينة، الديسي، حياته وآثاره وأدبه، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص272.
22. أبو مدين الغوث الأندلسي، ديوان وحكم أبي مدين الغوث الأندلسي، مراجعة وتنقيح: حمدان حجاجي، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص69.
23. الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، تح: العربي دحو، منشورات ثالة، الجزائر، ط3، 2007، ص63.
24. إبراهيم المارغني، النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقر الإمام نافع، دار الفكر، لبنان، 1995، ص67.
25. مصطفى البجاوي وآخرون، الدليل الأوفق، ص151.
26. عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، إعداد وتصنيف: عمّار طالبي، الشركة الجزائرية، الجزائر، ط3، 1997، ج3، ص57.
27. الربيع بوشامة، الديوان، جمع وتقديم: جمال قنان، دار هومة، الجزائر، 2010، ص82.
28. محمد العيد آل خليفة، الديوان، دار الهدى، الجزائر، 2010، ص153.
29. المارغني، النجوم الطوالع، ص27.
30. مصطفى البجاوي وآخرون، الدليل الأوفق، ص83.
31. المارغني، النجوم الطوالع، ص28.
32. مصطفى البجاوي وآخرون، الدليل الأوفق، ص84.
33. مصطفى البجاوي وآخرون، الدليل الأوفق، ص85.
34. أبو مدين الغوث، ديوان وحكم أبي مدين الغوث، ص68.
35. مفدي زكريا، إحياء الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص102.
36. محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، تح: محمد علي الضباع، مكتبة القاهرة، مصر، ج2، ص161.
37. ينظر: مصطفى البجاوي وآخرون، الدليل الأوفق، ص273.
38. ينظر تفصيل ذلك في كتاب الدليل الأوفق ص277.
39. محمد علي الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، ط1، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ص53.
40. أبو مدين الغوث، ديوان وحكم أبي مدين الغوث، ص73.
41. المارغني، النجوم الطوالع، ص136-137.
42. أبو مدين الغوث، ديوان وحكم أبي مدين الغوث، ص83.
43. الأمير عبد القادر، الديوان، ص86.

المراجع:

1. إبراهيم المارغني، النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقر الإمام نافع، دار الفكر، لبنان، 1995.
2. ابن عبد ربه، العقد الفريد، تح: عبد الحميد الترحيني، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1983.
3. أبو بكر بن مجاهد، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1400هـ.
4. أبو مدين الغوث الأندلسي، ديوان وحكم أبي مدين الغوث الأندلسي، مراجعة وتنقيح: حمدان حجاجي، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.
5. الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، تح: العربي دحو، منشورات ثالة، الجزائر، ط3، 2007.
6. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان.
7. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف.
8. حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، الديوان، شرح: عبد أعلّي محنا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1994.
9. الربيع بوشامة، الديوان، جمع وتقديم: جمال قنان، دار هومة، الجزائر، 2010.
10. عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، إعداد وتصنيف: عمّار طالبي، الشركة الجزائرية، الجزائر، ط3، 1997.
11. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله البرويش، دار البلخي، سورية، ط1، 2004.
12. عبد الهادي الفضلي، القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف، مركز الغدير، لبنان، ط4، 2009.
13. عبد الهادي حميتو، قراءة الإمام نافع عند المغاربة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2003.
14. علي بن عثمان بن القاصح، سراج القارئ المبتدي وتذكرة المقرئ المنتهي، مراجعة: علي الضباع، دار الفكر، لبنان، 1403هـ.

- (15) عمر بن قينة، الديسي، حياته وآثاره وأدبه، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.
- (16) غانم قدوري الحمد، أبحاث في العربية الفصحى، دار عمار، الأردن، ط1، 2005.
- (17) محمد العيد آل خليفة، الديوان، دار الهدى، الجزائر، 2010.
- (18) محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، تح: محمد علي الضباع، مكتبة القاهرة، مصر.
- (19) محمد بن الجزري، طيبة النشر في القراءات العشر، تصحيح وضبط: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى، السعودية، ط1، 1994.
- (20) محمد بن الجزري، منجد المقرئين ومسلك الطالبين، دار الكتب العلمية، لبنان.
- (21) محمد علي الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، ط1، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.
- (22) مصطفى الجبلاوي وآخرون، الدليل الأوفق إلى رواية ورش من طريق الأزرق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، 2009.
- (23) مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.
- (24) مفدي زكريا، أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، جمع وتحقيق، مصطفى بكير، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003.